دكتور / عبد القادر سيد عبد الرؤوف

أثر الحضارة الإسلامية
في
المجتمعات الإنسانية

الطبعة الأولى
١٩ من رمضان ١٤١٤ هـ — ١ من مارس ١٩٩٤ م

دار الطباعة المحمدية
[illegible] الأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد البشير النذير الذى بعثه الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آله وأصحابه الذين ساروا فى طريقه واتبعوا منهجه فتم لهم النصر والفوز فى الدنيا والآخرة وكانوا من الفائزين .

تمهيد

فقد بلغت الاكتشافات العلمية والرقى المادى فى هذا العصر مبلغاً عظيماً لم يتوافر لعصر قبله ، ومع هذا يعانى البشر أزمة فكرية إجتماعية أخلاقية تجعله لا يهتم بما وصل إليه من إنجازات علمية[1] .

وإذا أمعنا النظر فى معرفة أسباب هذه الأزمة وما يصحبها من قلق شامل وظلم متزايد ، وإنحراف بغيض ، أدركنا أن ذلك ناشىء عن الحضارة الغربية التى قطعت صلتها بالناحية الروحية ، ذلك لأنها قامت على أساس من المادية والوثنية وعلى تقديس العقل[2] مما جعل القيم الروحية والأخلاقية فى ظلها مغلوبة على أمرها وهذا القول لا يأتى من فراغ ، بل هذه حقيقة اعترف بها المفكرون الغربيون واستنكروها فى نفس الوقت يقول العالم الفرنسى : ألكسسى كاريل : إن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، إن القلق والهموم التى تعانى منها تتولد عن النظم السياسية والإقتصادية والإجتماعية وسوف يدرك الاقتصاديون أن بنى الإنسان يفكرون ويشعرون ويتألمون ، ومن ثم يجب أن نقدم لهم أشياء أخرى غير الطعام والشراب ، إن لهم واجبات روحية مثل الاحتياجات الفسيولوجية[3] .

لقد آثرت الحضارة الغربية الجانب المادى من الكون والإنسان

---

(1) الثقافة الإسلامية : أنور الجندى ٢٧٣

(2) الإسلام والحضارة الغربية أنور الجندى ٧٢

(3) « « منظمة الندوة العالمية للشباب المسلم على محمود عبد الحليم ٤٩١

والحياة وتجاهلت أهم ما فى الإنسان وهو روحه وقلبه وإيمانه يقول أندريه مالرو : لابد من أن تتوازن الجوانب المادية والروحيـــة فى الحضارة وعلى الإنسان ألا يكتفى عن الناحية الروحية بالإنتصارات التكنولوجية أو بالقواعد الأخلاقية القائمة على المنفعة أو الشهوة التى يصنعها العقل[١] .

ويقول جون فوستر دالاس : نستطيع أن نتحدث ببلاغة عن التقدم المادى الذى حققناه وعن عدد السيارات وأجهزة الراديو والتليفزيون التى يمتلكها الأفراد ، ولكننا قد أفلسنا من الناحيـــة الروحية[٢] .

ويقول ويل ديورانت : لقد أصبحنا أغنياء فى التكنولوجيا إلا أننا فقراء فى الروح ، وحسب هذه الحضارة الغربية أنها من صنع الناس للناس ، وأنها تنكرت لكل دين فكان ما كان من الحيرة والتخبط والضياع[٣] .

من هنا كان لابد للإنسان من حضارة تعنى به اعتناء كاملا ، جسداً ، وروحاً ، غريزة وعقلا ، وتمنحه الأمن والطمأنينة والسلام والأمان ، هـــذه الحضاره هى حضارة الإسلام ، التى قامت على التصور السليم الصحيح والنظرة المستنيرة إلى الكون والإنسان والحياة وهذه غايات لا ينبغى للناس أن يختلفوا على فضيلتها وشرفها ، لأن الله عز وجل هو الذى حددها وجعل الناس قادرين على اجتناب الإثم والفواحش والشر

---

(١) نظرات فى الثقافة الإسلامية د/أحمد نوفل ٢٤٥

(٢) المصدر قبل السابق ٤٩٢

(٣) الإسلام والحضارة بحث : النهامى نقرة ١٨٨

دون أن يختلفوا على تقدير هذه الشرور والآثام لأن الله هو الذى قضى بأنها شرور وآثام ، لذلك نجحت الحضارة الإسلامية فى توجيه الإنسان وإرشاده وتسديد خطاه لأنها آتية من لدن عليم حكيم وليست من صنع بشر أو عبقرية إنسان[1] .

هذا وبحثنا « أثر الحضارة الإسلامية فى المجتمعات الإنسانية » يبين سبق الحضارة الإسلامية وتقدمها على غيرها من الحضارات الأخرى سواء كانت شرقية أو غربية دينية أو وضعية .

ويشتمل البحث على :

— المقدمة — مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا .

— خصائص الحضارة الإسلامية .

١ — الوحدانية . ٢ — الإنسانية .

٣ — الأخلاقية فى المبادىء والأهداف .

٤ — الغاية لا تبرر الوسيلة . ٥ — التسامح الدينى .

— آثار الحضارة الإسلامية .

١ — فى مجال العقيدة . ٢ — فى مجال الخدمة العامة .

٣ — فى مجال العلوم .

— شهادة المنصفين من علماء الغرب للحضارة الإسلامية .

— العلوم والعلماء المسلمون :

١ — الطب : الأطباء المسلمون. ٢ — المستشفيات .

٣ — الصيدلة . ٤ — الكيمياء .

---

(١) نظرات فى الثقافة الإسلامية د/أحمد نوفل ص ٢٤٦

٥ — علم الفلك . ٦ — الرياضيات .

٧ — الفيزياء . ٨ — المكتياب .

مفهوم الحضارة :

الحضارة لغة :

هى سكنى الحضر وتدل على إقامة مجموعة من الناس فى الحضر ومواطن العمران ، وتقابلها كلمة البداوة وهى لغة : سكنى البادية أو الصحراء ، وتعنى حياة أهل البادية المتنقلة التى تسكن الخيام وتعيش على رعى الأغنام ، فكأن المقابلة بين الحضارة والبداوة هى مقابلة بين حياة الاستقرار وحياة التنقل[1] . ومن ذلك يوصف أهل الحضر بأنهم أهل القرار .

ويقال الحضرى . قرارى لأنه يستقر لا يتنقل طالباً الكلأ فى مواضعه ، كذلك يوصف أهل الحضر بأنهم أهل المدر أو أهل الحجر لأنهم يسكنون بيوتاً من الطين أو الحجر ، خلافاً لأهل الوبر الذين يسكنون الخيام من وبر الإبل أو صوف الغنم أو شعر الماعز[2] .

---

(١) لسان العرب ، القاموس المحيط مادة حضر .

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى أبو زيد شلبى صـ٧

الحضارة إصطلاحاً :

هى مجموعة المفاهيم الناتجة من وجهة نظر الأمة التى تشكل طرازاً خاصاً لها فى الحياة . فالحضارة خاصة بالأمة تبعاً لوجهة نظرها فى الحياة وقريب من هـــذا من قال : إنها طريقة معينة فى الحياة ، والحضارة الإسلامية على هـذا : هى مجموعة المفاهيم الناتجة من وجهة نظر الأمة الإسلامية فى الحياة المنبثقة عن العقيدة الإسلامية ، أو هى طراز الحياة الإسلامية[١] .

خصائص الحضارة الإسلامية :

من خلال التعريف السابق لمفهوم الحضارة يتبين لنا أن لكل أمة من الأمم حضارة خاصة بها ، ذلك لأن حضارة أى أمة من الأمم إنما هى ناتجة ومنبثقة من أفكار عقيدتها أو فلسفتها أو مذهبها الذى تؤمن به ، والذى يمثل وجهة نظرها عن الحياة وهذا هو السر فى اختلاف الحضارات وتمايزها .

وبناء على ذلك فإن حضارة الإسلام تختلف عن غيرها من الحضارات سواء القديمة منها كالإغريقية والهندية ، أم الحديثة كالحضارة الشرقية والحضارة الغربية إختلافاً كثيراً ، لأن الحضارة الإسلامية ليست مكملة ولا متممة للحضارات القديمة ، كما أن الحضارات الغربية ليست إمتداداً للحضارة الإسلامية ، وعلى هذا فإن القول بوحدة الحضارة الإسلامية وسائر الحضارات قول خاطىء[٢] .

---

(١) مقدمات فى فهم الحضارة الإسلامية : محمد على ضناوى صـ ١٤ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠

(٢) الإسلام والحضارة : أنور الجندى صـ ٥ وأنظر من روائع حضارتنا : مصطفى السباعى صـ ٣٠

والفرق واضح وظاهر حيث أن الحضارة الإسلامية تقوم على أساس عقيدة التوحيد وعلى إدراك صلة الإنسان بخالقه وهذه العقيدة تجعل رضوان الله عز وجل غاية للإنسان، ولذلك فهو يسعى فى هذه الدنيا من أجل نيلها والظفر بها فى الآخرة.

أما الحضارة الإغريقية والهندية فإنها تقوم على الوثنية، والحضارة الغربية تقوم على المادية وإنكار الناحية الروحية، والحضارة الاشتراكية تقوم على الإلحاد.

من أجل ذلك كان للحضارة الإسلامية الإمتياز والسبق والتقدم على غيرها من الحضارات القديمة والحديثة بخصائص نذكر منها :

١ — الوحدانية :—

تعنى الوحدانية فى العقيدة الإسلامية أن الله تعالى واحد لا شريك له قال عز وجل «قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»(١).

كما تعنى أنه وحده هو الخالق : «ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه»(٢)، كما تعنى أنه مالك كل شيء، قال تعالى : «ولله ملك السموات والأرض»(٣).

كما تعنى أنه وحده الذى يتوجه إليه بالعبادة، ويلجأ إليه عند الشدائد. قال تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين»(٤).

---

(١) سورة الإخلاص.
(٢) الأنعام : ١٠٢ (٣) آل عمران : ١٨٩
(٤) الفاتحة : ٤

فى ضوء هذا المفهوم العقدى فإن الحضارة الإسلامية هى الحضارة الوحيدة التى تحررت من مفاهيم الشرك والوثنية ، وعبادة الطواغيت ، والأصنام ، فهى حضارة لا تستند إلى خشية صنمت ولا إلى تمثال نحت أو إلى تصورات وهمية أسموها ديناً ، وإنما هى حضارة قائمة على أساس فكرى مستنير يقتنع به العقل وتتقبله الفطرة ، وفى ضوئها يجرى إشباع الغرائز والحاجات العضوية[1] .

ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية صححت العلاقة بين الناس، وأزالت القدسية عن البشر ،فوقفت فى وجه من يدعى الربوبية والألوهية كفرعون الذى ادعى الربوبية فقال . « أنا ربكم الأعلى »[2] وادعى الألوهية فقال: « ما علمت لكم من إله غيرى »[3] وغيره ممن ادعى ذلك من البشر : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله »[4] ، كما أنها حرمت السجود لغير الله تعالى : «فاسجدوا لله واعبدوا »[5] ، ورفضت بإصرار وعزيمة إحناء الرأس أمام أى قوة غير الله سبحانه وتعالى ، فالكل عبيد لله رب العالمين .

« إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا »[6] .

---

(١) من روائع حضارتنا — مصطفى السباعى ص ٣٠ ، الإنسان فى ظل الإسلام — محمد أبو زهرة ص ١٨

(٢) سورة النازعات الآية : ٢٤

(٣) سورة القصص الآية : ٣٨

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٤

(٥) سورة النجم الآية : ٦٢

(٦) سورة مريم الآيات : ٩٣ — ٩٥

كما أن الوحدانية طبعت الحضارة الإسلامية بطابع الوحدة فى أمور منها اللغة والتشريع والقيادة وجعلت نظرتها إلى الإنسان ككيان متكامل جسداً وروحاً ، غريزة وعقلا ، ثم إن ارتكاز هذه الحضارة على عقيدة التوحيد طهرها من الخرافات فى تفسير الكون ، وخلص البشر من الخضوع لتأثير التمائم والرقى والكهانة والعرافة ، لهذا جاءت الحضارة الإسلامية بأفكار صحيحة مستنيرة تدل على سمو الفهم ، وعمق النظرة وصحتها فى مفهومها لوحدانية الخالق .

وبناء على ذلك خلت الفنون الإسلامية من النحت وصناعة التماثيل ، التى تعد من أبرز مظاهر الحضارة الوثنية القديمة والحديثة ، وليس هذا بدليل على عجز المسلمين وعدم اهتمامهم بالنحت أو التصوير ، بل إنهم برزوا فى فنون أخرى كالزخرفة والخط والعمارة والنقش والحفر على الخشب ، وذلك لعدم تناقضها مع عقيدة التوحيد إذن انصرافهم عن النحت وصناعة التماثيل أو التصوير إنما كان لتحريم ذلك والنهى عنه ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير »[1] . وعن أبى سعيد عن أبى الحسن قال : « جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إنى رجل أصور هذه الصور فأفتنى فيها فقال له : أدن منى فدنا منه . ثم قال : أدن منى فدنا منه حتى وضع يده على رأسه قال : أنبئك بما سمعت عن رسول الله ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور فى النار تجعل له بكل صورة نفساً فتعذبه فى جهنم »[2] ، كما خلت آداب الحضارة الإسلامية من مفاهيم الشرك والوثنية ، وهذا هو السر فى عزوف المسلمين عن ترجمة آداب اليونان كالإلياذة والأوديسة وغير ذلك لقيامها على أساس الوثنية وتعدد الآلهة .

(١ ، ٢) رواه الإمام مسلم .

٢ — الإنسانية :

ومن خصائص الحضارة الإسلامية أيضاً أنها إنسانية الاتجاه ، هذا ما أعلنه القرآن الكريم كتاب رب العالمين قال عز وجل : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[1] .

وجاءت الحضارة الإسلامية تدعو إلى تعميق هذا الاتجاه فى حياة الإنسان وذلك كما يلى :—

(أ) أنها حضارة للناس جميعاً ، فهى لا تعرف حدوداً زمانية أو مكانية أو عرقية ، أى أنها حضارة للإنسان أياً كان أصله وأينما كان موطنه ، لا فرق فى ذلك بين الأبيض والأحمر والأصفر فالكل فى النظرة إليه سواء قال ﷺ : «لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى»[2] .

(ب) أنها ساوت بين الناس فى أصلهم ، قال الله عز وجل : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»[3] وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «كلكم لآدم وآدم من تراب»[4] كما أنها راعت العدل بينهم ، وشملت بالرعاية كل من أقام فى دار الإسلام مسلماً كان أو غير مسلم قال جل فى علاه: «إن الله

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده وانظر معالم الثقافة الإسلامية — عبد الكريم عثمان ص ١٢٠

(٣) متفق عليه .

يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً »[١] .

(ج) ويظهر هذا الاتجاه الإنسانى فى الحضارة الإسلامية فيما اشتملت عليه من تشريع يجعل القوى والضعيف والغنى والفقير والحاكم والمحكوم سواء أمام أحكام الشريعة ، ولم تغفل الحضارة الإسلامية — المرأة بل أعطتها من الحقوق ، ورتبت عليها من الواجبات ما يحقق إنسانيتها ، وحرصت على أن تكون أما وربة بيت وعرضاً يجب أن يصان ، لا وسيلة من وسائل إشباع الشهوات وكسب الثروة واستغلالها[٢] .

(د) كما يبدو هذا الاتجاه الإنسانى فى الرحمة والعطف والحرص على نشر الفضيلة .

فالحضارة الإسلامية حضارة لم تقم على العدوان والقهر والتسلط .

(هـ) ويتألق الاتجاه الإنسانى بأن عطاء الحضارة الإسلامية كان للإنسان فى شمولها وعالميتها فعندما حمل المسلمون حضارتهم لم يحتكروا منها شيئاً قط عملا بقول الرسول ﷺ : « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »[٣] ، فأفاد منها المسلم وغير المسلم على السواء . ولذلك لم تخل الحضارة الإسلامية من غير المسلمين ومشاركتهم فى بناء هذه الحضارة ولم تنكر عليهم حقهم وحظهم فيها ، فنبغ الكثير منهم وأصبحوا أعلاماً فى ظل هذه الحضارة .

---

(١) النساء : ٥٨ وانظر الإسلام والحضارة ص ٥٥
(٢) أسس الحضارة الإسلامية حسن حنبكة ص ١١٣
(٣) رواه أبو داود والترمذى .

ولقد شعر الذين انضووا تحت لواء هذه الحضارة أنهم يساهمون فى حضارة إنسانية فلم يقصروا عن انتاج ، فظفرت الحضارة الإسلامية بثروة لم تشهد مثيلا لها أى حضارة أخرى قديمة أو حديثة(١).

٣ — الأخلاقية فى المبادىء والأهداف :

ترمى الحضارة الإسلامية إلى إيجاد وتكوين مجتمع إسلامى تسوده القيم الخلقية والمثل العليا الرفيعة ، كما ترمى إلى إيجاد الفرد المسلم المتكامل الشخصية فى سلوكه وتصرفاته إيمانا وعملا ، ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية تؤكد على سيادة القيم الخلقية والمثل العليا الرفيعة فى حياة الفرد والمجتمع .

والذى يتتبع القيم الأخلاقية فى الحضارة الإسلامية يستطيع أن يؤكد أن هذه الأخلاقية فى المبادىء والأهداف خصيصة من خصائص الحضارة الإسلامية تمتاز بها وتجعلها تنفرد عن غيرها من حضارات الدنيا قديمها وحديثها(٢) .

التعريف بالأخلاق :

الأخلاق فى اللغة جمع خلق وهو السجية والطبع والمروءة والدين هذا هو معنى الخلق فى لسان العرب وهذا هو معناه اللغوى الوارد فى القرآن الكريم ، قال عز وجل يمدح رسوله ﷺ : «وإنك لعلى خلق عظيم»(٣) أى سجية عظيمة ودين عظيم .

---

(١) الإسلام والإنسان المعاصر صـ ٤١ محمد ظفر خان .
(٢) الإسلام وثقافة الإنسان سميح عاطف الزين صـ ١٦٩
(٣) القلم : ٤ وأنظر لسان العرب مادة خلق .

أما الأخلاق فى الإصطلاح فيعرفها الإمام القرطبى فيقول: الأخلاق أوصاف الإنسان التى يعامل بها غيره وهى محمودة أو مذمومة ، كالعفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتودد ولين الجانب ونحو ذلك ، والمذمومة ضد ذلك[١] .

منزلة الأخلاق فى الإسلام :

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فصلا الأخلاق تفصيلا رائعا ، وبينا فى وضوح تام الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة .

إن الإسلام دعا إلى التحلى بمكارم الأخلاق وهى كثيرة ومتنوعة منها :

(أ) الرفق والتواضع : قال عز وجل: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما»[٢] فمن علامات العبودية لله أن يمشى العبد بين الناس برفق وتواضع ولين دون صلف أو كبرياء ، وإذا تطاول عليه سفيه من السفهاء كان رده رفيقا فلا يجاريه فى سفاهته .

(ب) الدين حسن الخلق :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، ما الدين؟ فقال الرسول ﷺ : حسن الخلق[٣] وهـذا يعنى أن منزلة الأخلاق فى الإسلام منزلة عظيمة فكأنه هو الدين كله .

---

(١) سبل السلام جـ ٤ صـ ٢٧٣
(٢) الفرقان : ٦٣
(٣) الإمام مسلم .

(ح) حسن الخلق يرجح الحسنات على السيئات وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «أثقل مايوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق»[١] وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه: «أكثر مايدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق»[٢] وهذا يدل على أن حسن الخلق له أثره الكبير فى رجحان الحسنات على السيئات يوم القيامة.

(ذ) الوفاء بالعهد قال تعالى: «فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين»[٣] فالوفاء بالعهد من الأخلاق التى هى من علامات تقوى الله وطاعته.

(هـ) الخلق القبيح يذم صاحبه فقد جاءت جماعة من المسلمين إلى النبي ﷺ فقالوا: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها، قال: لا خير فيها هى من أهل النار[٤].

وهذا يدل على أن من ساء خلقه لا خير فيه وأن مصيره إلى الخسران والعذاب حتى وإن صلى وصام فصلاة هذه المرأة وصيامها لم تغنيا عنها شيئا.

وينبغى أن نعلم أن الخلق الحسن هو مايمدح صاحبه شرعا، والخلق السىء القبيح هو مايذم صاحبه شرعا.

(و) ومن مكارم الأخلاق التى دعا اليها الإسلام: الصدق وهو خلق عظيم، وعلامة من علامات الإيمان وثمراته، قال عز وجل:

---

(١) رواه الإمام الترمذى.
(٢) رياض الصالحين ص ٢٨٠
(٣) التوبة: ٤
(٤) رواه الإمام البخارى فى الأدب المفرد:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[١] أى فى الإيمان والصدق فى القول والعمل وطاعة الله سبحانه وتعالى .

قال ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة : أى اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا[٢] .

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا[٣] .

(ز) ومن مكارم الأخلاق التى دعا اليها الإسلام : العدل وهو صفة لازمة فى الحاكم المسلم قال جل فى علاه : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا[٤] .

وهذا الخطاب وإن كان ظاهره موجها إلى الحكام والقضاة فهو عام يدخل فيه جميع الناس لقول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[٥] .

---

(١) التوبة : ١١٩

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٣٩٩

(٣) صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٤٣٩

(٤) النساء : ٥٨

(٥) صحيح مسلم جـ ٢ صـ ١٢٥

فهذا الحديث الصحيح قد جعل الناس جميعا رعاة وحكاما على حسب درجاتهم مسئولين أمام الله فى تحقيق العدل بين الناس حتى لا يكون هناك مظلوم .

أساس الأخلاق :

والأخلاق الإسلامية لها أساس متين وقاعدة صلبة يجعلانها تسير دائما فى خط مستقيم لاتلتوى بصاحبها ، كما يجعلانها ملائمة لنفس الإنسان لايقوضها اضطراب ، هذا الأساس وهذه القاعدة يتمثلان فى العقيدة والايمان ، فما كان من الأخلاق منفصلا عن الايمان لا عبرة به ومن هنا نجد أن السنة النبوية الشريفة كثيرا ماتربط مابين الخلق والايمان ، فهى تارة تجعل حسن الخلق علامة على كمال الايمان نجد ذلك واضحا فى قول الرسول ﷺ : « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا »[١] وتارة تنفى الايمان والدين عند انتفاء الخلق نجد ذلك واضحا فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لاعهد له »[٢] .

ولارتباط الأخلاق بالايمان جعلت الآيات القرآنية الأخلاق الحسنة أساس الفلاح وجعلت الفلاح متوقفا على هذه الأخلاق نقرأ ذلك فى قوله عز وجل : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[٣] والأخلاق الحسنة التى دعا اليها الاسلام ليست صفات حسنة لذاتها وإنما جاء حسنها من كونها مأمورا بها من الله عز وجل ، فالمسلم متصف بالرحمة والعطف والأمانة والمحافظة على العهد لان الله تعالى أمر بهذه الصفات ،

(١) رواه ابن أبى شيبة عن حديث أبى هريرة .
(٢) رواه أحمد وابن حبان عن أنس رضى الله عنه .
(٣) الحشر : ٩

٤ — الغاية لا تبرر الوسيلة :—

من الخصائص التى تميزت بها الحضارة الإسلامية ، أنها دعت إلى أخلاق متميزة فى الوسائل والغايات ، فلا يجوز الوصول إلى الغايات الشريفة والأهداف الكريمة بالوسيلة الخبيثة أو المحرمة ، ولهذا لامكان فى مفاهيم الإسلام للمبدأ القائل (الغاية تبرر الوسيلة) [١] وهذا المبدأ خطير على السلوك والأخلاق يهددها بالإنهيار والدمار ويقضى على كثير من المثل والقيم بين الأفراد والجماعات . ومن الأدلة على أن الإسلام يتنافى مع هذه الفكرة قوله تعالى : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير »[٢]

فهذه الآية توجب على المسلمين أن ينصروا إخوانهم الذين يتعرضون للظلم خارج ديار الإسلام أينما كانوا قياماً بحق الإخوة فى الدين ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز نصرة المسلمين المظلومين لأن وسيلة النصر فى هذه الحال خيانة العهد ونقض الميثاق ، والإسلام يمقت الخيانة ويحرم نقض العهد ، ولا يخفى أن هذه الأخلاق من جنس العقيدة التى تنبثق عنها وضوحاً واستقامة ولذلك فإن أخلاق الإسلام لا تعرف التواء ولا يصيبها انحراف [٣] .

---

(١) صاحب هذه القاعدة الفاسدة هو ميكانيلى الإيطالى نادى بها فى كتابه الأمير وتعد هذه القاعدة ، القاعدة الذهبية عند الغربيين والاشتراكيين واليهود خاصة .

(٢) سورة الأنفال ٧٢

(٣) أسس الحضارة الإسلامية ص ٩٤ وما بعدها عبد الرحمن حسن حنبكة .

ونستخلص مما سبق :—

أن الحضارة الإسلامية أكدت على سيادة الأخلاق الفاضلة في المجتمع وحظرت كل ما من شأنه أن يؤدى إلى الفساد والانحلال ، وأكدت على التحلى بالفضيلة ومجانبة الرذيلة فى السلوك والتصرفات ، وجعلتها أحكاماً تشريعية فى صيغة أوامر ونواه يجب التقيد بها .

كما أنها أكدت على أن القيم الأخلاقية ثابتة لا تتطور ولا تتبدل ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة .

وأكدت أيضاً على أن التمسك بهذه الأخلاق واجب على الفرد والمجتمع والدولة فالوفاء والصدق والتقوى والأمانة والعناية بالضعيف والعدل والإحسان كل ذلك واجب فى حق الفرد والمجتمع والدولة دون استثناء .

وأكدت أيضاً على سيادة الذوق العام الذى تقره التقاليد والعادات الإسلامية التى تحفظ كرامة الإنسان ، ومن هنا قدمت رسالة الإسلام حضارة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء [١].

٥ — التسامح الدينى :—

إن الله عز وجل بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة أبيضهم وأسودهم أحمرهم وأصفرهم عربيهم وعجميهم قال تعالى :
«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» [٢]

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية ٢٨٥ عبد الكريم عثمان .
(٢) سبأ : ٢٨

فرسالة النبي ﷺ عامة إلى جميع الناس مهما اختلفت أفكارهم وتعددت أجناسهم إلى يوم القيامة .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت إلى الأسود والأحمر قال مجاهد : يعني الجن والإنس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح (١) .

ولو نظرنا إلى المجتمع الإسلامي نجد أنه لم يخل قط من غير المسلمين في أي عصر من العصور ، والمسلمون لم يكرهوا أحداً من غير المسلمين على الدخول في الإسلام قال جل في علاه : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (٢) .

ولم يمنعوا غير المسلمين من العيش معهم على الرغم من مخالفتهم في الدين، إذ ليس من لوازم الإيمان بالإسلام عداوة غير المسلمين ، ورفض العيش معهم في ظل دولة الإسلام ، والشارع الحكيم نظم علاقات المسلمين في دار الإسلام فيما بين المسلمين أنفسهم وفيما بينهم وبين غيرهم ، ومن هنا كان غير المسلمين محل نظر الشارع الحكيم والذي يقرأ بتدبر وإمعان القرآن الكريم ومعاملة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لغير المسلمين لا يسعه إلا أن يكبر ويهلل لسماحة الإسلام في معاملة المخالفين في العقيدة ، تلك السماحة الإسلامية التي عاش في ظلها وأمنها غير المسلمين (٣) .

من أمثلة ذلك :

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ٥٣٩

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) أنظر المجتمع الإنساني في ظل الإسلام محمد أبو زهرة ١٩٤

١ — لما فتح الرسول ﷺ مكة المكرمة كان قادراً على إبادة أهل مكة كلهم ، وأعمال السيف فيهم حيث لا يمنعه شيء من ذلك فهو صاحب القوة والجيش الجرار ولكنه عدل عن ذلك وقال لهم : « يا أهل مكة ما تظنون إنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال : إذهبوا فأنتم الطلقــاء » إنها حضارة الإسلام إذا انتصر أتباعها لا يقولون : ويل للمغلوب ، بل صفح جميل وعفو كريم امتثالا لأمر الله عز وجل فى قوله جل فى علاه : « واصفح الصفح الجميل [١].

وعندما فتح المسلمون حمص من بلاد الشام وأخذوا الجزية من أهلها مقابل رعايتهم وحمايتهم ردها أبو عبيدة بن الجراح إليهم عندما اضطر المسلمون إلى ترك حمص لمواجهة الروم وتجمعاتهم عند نهر اليرموك [٢].

فهل توجد أمة فى التاريخ تعدل من نفسها فى حربها وسلمها كهذه الأمة الإسلامية أمة الحضارة والمدنية والتقدم ؟ الجواب لا ومن هنا يتضح أن التسامح مع غير المسلمين إنما هو من صلب نظرة الإسلام وحضارته،فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وهم أحرار وما يدينون ويعبدون ولهم الذمة والحماية والمنعة وعليهم الوفاء بالعهد والميثاق ولقد كان لهذا أكبر الأثر فى تماسك الرعية مسلمين وغيرهم صفاً واحداً فى الحروب الصليبية بإعتبارهم رعية واحدة ويطبق عليهم نظام واحد ، وما كان أشد دهشة الافرنج وهم يشاهدون ذلك [٣].

إن حضارة الإسلام تمتاز بأنها حضارة : إسلامية ، عربية ، إنسانية

---

(١) الحجر : ٨٥

(٢) من روائع حضارتنا ٩٨ مصطفى السباعى .

(٣) المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام محمد أبو زهرة ١٢٩

فهى إسلامية ، لأن موضوعها الإسلام بكتابه القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ وأفكار الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وعلماء السلف والخلف رضى الله عنهم أجمعين .

وهى عربية : لأن رجالها وأبطالها هم العرب ، وقد اختير رسولها ﷺ من العرب ونزل كتابها باللغة العربية .

وهى إنسانية : لأنها استهدفت بإصلاحها وتوجيهها الإنسان فى أى زمان ومكان ، على اختلاف الأجناس والألوان ، لا فرق فى ذلك بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر أو بين العرب والعجم فالكل أمامها سواء الحاكم والمحكوم ، السيد والعبد القوى والضعيف ، الغنى والفقير ، صاحب الحسب والنسب ومن لا حسب له ولا نسب .

آثار الحضارة الإسلامية :—

للحضارة الإسلامية آثار عظيمة ، فما من أمة استظلت بها ونهلت منها إلا حازت السبق والتقدم والرفاهية ، وما من مجتمع سار فى ركابها إلا ووصل إلى بر الأمان ، فالحضارة الإسلامية قادت الإنسانية قرونا طويلة إلى المجد والعزة والرفعة وفيما يلى نذكر آثارها فى : —

أولا مجال العقيدة :

لو نظرنا إلى الإسلام نجد أنه الدين الوحيد ، الذى استهدف إخراج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن عقائد الشرك والضلال إلى عقيدة التوحيد والهداية ، فبين له الطريق الصحيح ، التى من خلالها يهتدي بها إلى الخالق عز وجل وأمره أن يحكم العقل فى الإيمان بالله تعالى ليتحرر من أسر المعابد والكهنة وأساطير الأولين وخرافاتهم ، ثم دعاه

إلى التأمل والتفكر فى الكون ومظاهر الحياة وأسرارها ، ونهاه عن التقليد فى العقيدة ، كما حذره من أخذ ما كان عليه الآباء والأجداد من شرك ووثنية من غير نظر فيه أو تمحيص له، قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »[1] .

وكان لهذا المفهوم أثر كبير فى حياة البشر ، حيث تحررت الشعوب التى أظلها الإسلام من معتقداتها الفاسدة التى بنيت على أوهام وخرافات أدت إلى انحرافهم عن الطريق المستقيم ، كما تحرر مشركوا العرب من أوثانهم ومما كان عليه الآباء والأجداد من ضلال وبهتان وزور يأباها الإيمان الصادق مثل عبادة النار ، وتقديس التماثيل والأصنام ، وتقديس البقر والشمس والقمر والنجوم والملائكة .

ولم تستطع هذه الوثنيات أن تقف أمام الإسلام ، بل إن الحضارة الإسلامية بسطت تعاليمها وأفكارها ومفاهيمها على البلاد التى أظلتها هذه الحضارة وتلألأت فى سمائها ، ونقلت شعوب هذه البلاد نقلة واسعة عميقة أخرجتهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، وبنى المسلمون من هذه الشعوب جميعاً مجتمعاً إسلامياً على أساس من عقيدة التوحيد وفى أطار من التعاون والتكافل والمساواة والعدل ، وصهرهم الإسلام فى بوتقة واحدة عقيدة ولغة وقوة وغاية ومنهج حياة فاستحقوا بذلك أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[2] .

---

(١) سورة البقرة ١٧٠ وانظر من روائع حضارتنا مصطفى السباعى ص ٣٩ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

ويمكن أن نقف على مدى الآثار التى خلفتها الحضارة الإسلامية فى الفكر والعلم فى أوربا من خلال النقلة الواسعة فى طريقة التفكير حيث أن حركات الإصلاح الدينى قد نشأت فى البلاد التى تأثرت بالحضارة الإسلامية وطريقة تفكيرها واستعمال العقل فى مجال العقيدة كما هو واضح من حركة مارتن لوثر الألمانى ، وحركة كلفن الفرنسى حيث أن كلا من هاتين الحركتين وأمثالهما نادت بالتحرر من سلطان رجال الدين الذين منعوا استعمال العقل وحجروا عليه ، وحملتا على بيع صكوك الغفران والحرمان وعلى الوساطة التى يدعيها رجال الدين بين الله والإنسان عن طريق الرهبان[1] .

ولقد كان من أثر هذه الحركات التى نادت بالإصلاح الدينى أن تفتحت أعين الأوربيين وعقولهم على رؤية عقلية ما ألفوها إلا بعد أن عبرت الحضارة الإسلامية ديارهم بطريقة أو بأخرى ، ولو أن المفكرين الغربيين نسوا حقدهم الدفين فى أعماقهم على الإسلام وأهله ، ولم يوقظوا الحضارات القديمة كالأغريقية والرومانية وكذلك النصرانية التى أغتالتها الوثنيات وصبغتها بصبغتها لخرجوا بتصور مستنير عن الكون والإنسان والحياة ولأضافوا إلى نهضتهم العلمية التى هى أثر من آثار المنهج العلمى التجريبى الإسلامى نهضة مستنيرة ولتخلصوا من حضارتهم المادية العلمانية .

لقد دعت الحضارة الإسلامية إلى التوحيد القائم على اليقين والإقتناع المستنير ، وإلى استعمال العقل وتحريره من الخرافات والأساطير ، وإلى التخلص من سلطان التقليد الأعمى والكنيسة ، وإلى تحرير الإنسان

(١) الإسلام والعالم المعاصر أنور الجندى ص١٤٨ ، الثقافة الاسلامية وأثرها فى النهضة الأوربية محمد فائق القصرى ص ٨١

من العبودية لغير الله تعالى[١] .

وبهذه الدعوة التى حملتها الحضارة الإسلامية فإنها تكون قد ربطت دنيا الإنسان بآخرته ، وأعطته التصور السليم عن الكون والإنسان والحياة .

ثانياً — فى مجال الخدمة العامة :

إن الحضارة الإسلامية استحقت قيادة العالم بجدارة ، وذلك بما اشتملت عليه من الخير والرحمة والبر والتعاون والعدل والمساواة ، فكل من عاش تحت ظلها شعر بالأمن والأمان والسعادة والطمأنينة .

لقد تنافس المسلمون فى أعمال البر والخير والتعاون وتساوى فى ذلك الحاكم والمحكوم وكل هذا ابتغاء مرضاه الله عز وجل وامتثالا لأمره جل فى علاه فهو القائل : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان [٢] ، وتنفيذا لقول الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[٣] ». وقوله عليه الصلاة والسلام: ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٤] » .

ومن هنا قامت فى ظل هذه الحضارة العظيمة المؤسسات التى تفيض بالبر والخير ، وترسخ تعاون أفراد المجتمع بعضهم لبعض، فعاشوا آمنين

---

(١) انظر الثقافة العربية أنور الجندى ١٦٢ .
(٢) المائدة : ٢ .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الإمام البخارى .

مطمئنين ، لا يخافون فقراً ، ولا يخشون ضائقة ، وما زالت بعض هذه المؤسسات قائمة إلى يومنا هذا كالمساجد والتكايا والزوايا التي يصنع فيها الطعام للفقراء وابناء السبيل ، ومن المؤسسات التي أقاموها أيضا المدارس ودور العلم ، والمكتبات والمستشفيات والفنادق والحمامات وكذلك البرك والآبار التي حفرت في طول البلاد وعرضها ليشرب منها المسافرون .

ولقد تنافس الحكام وأفراد الرعية على إنشاء هذه المؤسسات ووقفها في سبيل الله ، وكان تمويلها إما من الدولة ، أو من الأموال التي تحبس عليها من أهل البر والإحسان تقرباً إلى الله عز وجل[1] .

ومن هذه المؤسسات نذكر ما يلي :

١ — المساجد :

تعد المساجد من أعظم المؤسسات الإجتماعية، ولقد شيدت ،وتنافس في إقامتها الحكام والرعية على امتداد العصور الإسلامية ، وكانوا لا يتركون فرصة فيها تقرب لله عز وجل إلا وعمروا فيها المساجد ويشهد على ما نقول : المساجد التي ما زالت موجودة إلى عصرنا هذا كالمسجد الأقصى في القدس ، والجامع الأزهر ، والمسجد الأموى في دمشق ، وجامع الزيتونة في تونس ، والجامع القروى في فاس بالمغرب ومساجد بغداد ومساجد الأندلس وخاصة مسجد قرطبة، وجامع الآستانة ،ومساجد الهند والصين وبلاد فارس .

ولم تقتصر هذه المساجد على العبادة والصلاة فقط ، بل كانت دور

---

(١) أنظر: الإسلام والحضارة ص١٥٢ منظمة الندوة العالمية للشباب المسلم بتصرف

علم ، انتشرت فيها حلقات الدرس والتعليم ، وكان طلاب العلم يؤمونها من كل مكان ، وكانت المساجد مفتحة الأبواب من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء ، وكانت تشمل هذه المساجد على أروقة وبيوت لسكن الطلاب وراحتهم ويوفر لهم المأكل والملبس وكل ما يلزمهم من نفقة أو أدوات كتابية .

ولقد تخرج من هذه المساجد العلماء والقضاة والوعاظ والأعيان فكانت بمثابة جامعات تخرج نوعيات مختلفة يحتاج إليها المجتمع فى كل فرع من علوم المعرفة ، كما كانت حرزاً لحفظ معارف الثقافة الإسلامية ونقلها إلى الأجيال[1] .

ولذلك كانت المساجد من قديم الزمان القائمة على خدمة المجتمع كله بأداء الواجب له والحفاظ على حقوقه ولم تكن أبداً حتى فى أقوى العصور والبيئات حضارة وأعظمها رقياً ، مجرد مكان للعبادة لأن الإسلام لم يكن مجرد علاقة روحية خاصة يرمز إليها بالصلاة أو المساجد ، وإنما هو دين شامل نظم المجتمعات كما نظم العلاقات الروحية .

والمساجد فى العصر الحديث يمكن أن تؤدى خدمات جليلة وخطيرة للمجتمع كما كانت تؤديها فى عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين من بعده وفى عصور أخرى من بعدهم على أساس أن تكون المساجد مؤسسة إسلامية تؤدى خدماتها لأهل الحى كله أى أن تكون المساجد نموذجاً كاملا يؤدى كل الخدمات الدينية والإجتماعية والثقافية للمسلمين[2] .

---

(١) أنظر : من روائع حضارتنا مصطفى الباعى ١٢٤

(٢) بحث للشيخ عبدالله المشد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠ ص ٣٤٩

كما كانت المساجد بمثابة المدارس الثانوية اليوم من حيث المستوى العلمي وتنوع المواد واختلافها ولم يكن يدرس بكل مسجد أستاذ واحد بل كان المسجد الواحد يجمع أكثر من أستاذ كل يحاضر فى تخصصه وما اشتهر به وتلقى هذه المحاضرات وتدار هذه المناقشات فى غير أوقات الصلاة وللطالب أن ينتقل من حلقة إلى أخرى بمحض إرادته وبمطلق حريته ينهل من كل حوض بما يشفى غلته وكان يسود هذا التعليم جو من الإخلاص من جانب المعلمين والوفاء للعلم من جانب طلاب العلم أنفسهم .

ومن بين طلاب هذه الحلقات ظهر أئمة الفقه ونوابغ الشعراء والأدباء وكان فى كل مسجد مكان عال «لسيدنا» يجلس عليه ومن حوله طلاب علمه ومريديه يشرح لهم دروس الدين أو الأدب أو اللغة وهم من حوله يصغون لشرحه ويستوضحونه ما يغمض عليهم فهمه .

وكانت المساجد منذ قيام الدولة الإسلامية دوراً للعبادة وندوة للشورى فى كبريات المسائل ودوراً للقضاء والفتوى ثم أصبحت مدارس لعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث ودراسة للأصول ثم مدارس لدراسة اللغة وفروعها والنحو والشعر والأدب فهى مراكز لنشر الثقافة الدينية والبحوث الأدبية فوق أنها دور للعبادة .

٢ — الكتاتيب :

إنتشرت الكتاتيب فى المدن والقرى ، وكانت كثيرة جداً لدرجة أن ابن حوقل عد ثلاثمائة كتاب فى مدينة واحدة من مدن صقلية، يتسع الواحد منها للمئات والآلاف من الطـــلاب لا يتحمل الطالب فى هذه الكتاتيب نفقة .

وكان يقوم فيها بتعليم الأطفال وتهذيبهم سيدنا ويساعده العريف

ومهمتها الأولى تحفيظ الأطفال القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة والحساب وفي العصر الأموى تنوعت هذه الكتاتيب فتخصص بعضها في تحفيظ القرآن الكريم وتجويده والبعض الآخر في تدريس اللغة وفروعها مثل النحو والعروض وفقه اللغة واتبع المعلمون المسلمون سنة المعلمين الأولين في الإغريق فكانوا يتعففون عن أخذ أجر لما يقومون به من تعليم فكانوا يقومون بهذه المهمة النبيلة حسبة وابتغاء وجه الله الكريم وخدمة العلم في ذلك .

فأخذت دولة الإسلام تعتنى بدور الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دول سواها ، حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد ، منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير ، وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة ، وكان فيها كرتان سماويتان إحداهما من الفضة ، يقال إن صانعها بطليموس نفسه وأنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار والثانية من البرونز ، ومكتبة الخلفاء في إسبانيا بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد ، وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلداً ، وقد حققوا أنه كان في أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية ، وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة .

٣ — المدارس :

أما المدارس فكان يتلقى الطلاب فيها تعليما عاليا بعد الكتاب، وكان مهيأ للطالب فيها الطعام واللباس والنفقة، كما كان فيها قسم خاص للاعاشه وهو للطلاب الغرباء ومن أمثلة ذلك مدرسة نور الدين زنكى رحمه الله فى مدينة دمشق وتعد من أحسن مدارس الدنيا لمظهرها الحسن ونظافة أقسامها حيث كان فيها أروقة للتعليم، ومساكن للطلاب، والمدرسين وقاعات للطعام، وكانت تصرف لهم رواتب معلومة آخر كل شهر. ثم المدرسة النظامية فى بغداد، والمدرسه الصلاحية، التى أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبى رحمه الله فى بيت المقدس.

كما انتشرت أيضا دور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف، ومن الجدير بالذكر والبيان أن الأمر لم يقتصر على مثل هذه المؤسسات العلمية بل تعداها إلى إنشاء الحمامات التى كثرت كثرة عظيمة لأهميتها فى حياة الناس. فقد كان المسلمون يغتسلون فيها ويتطهرون، فلبت حاجات الناس وخاصة أبناء السبيل وكانت هناك حمامات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء.

٤ — المستشفيات :

ومن المؤسسات المهمة التى عنى بها المسلمون المستشفيات، التى أقيمت فى طول البلاد وعرضها، وكان يشرف عليها أطباء مهرة، ويلحق بها الصيدليات ومخازن الأدوية والعقاقير، وكانت الدولة وأفراد الرعية يقومون على تمويلها وتحمل نفقاتها .

٥ — المكتبات :

ومن المؤسسات المهمة أيضاً التي عني بها المسلمون المكتبات التي إنتشرت في جميع الأمصار الإسلامية .

٦ — الخانات والفنادق :

ومنها كذلك الخانات والفنادق ، التي كانت تقام على الطرق حتى يستريح فيها المسافرون ويريحوا دوابهم ، وكان يقدم لهم الطعام ، ولدوابهم العلف ، وكان المسافر يجد فيها راحته وأمنه .

٧ — التكايا والزوايا :

كذلك من المؤسسات الهامة التكايا والزوايا ، التي كانت تقوم بصنع الطعام وتوزيعه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وكان يوزع فيها الخبز واللحم والحساء والحلوى ، وأما الآبار فقد كانت تحفر في طريق المسافرين وكذلك البرك ، وكان تشق منها القنوات وتجرى فيها المياه إلى المدن ولا تزال موجودة في العالم الإسلامي إلى الوقت الحاضر ، وكانت هناك مؤسسات خاصة بالمجاهدين تقدم إليهم كل ما يحتاجون إليه من سلاح وعتاد وطعام وكل هذا تطوع من الناس وتقرب به إلى الله عز وجل(١) .

ويلاحظ أن هذه المؤسسات الاجتماعية ، التي تفيض بالخير والرحمة لم يقتصر أثرها على البشر فقط ، بل امتد أثرها ليشمل كذلك الحيوان فقد حرمت الشريعة تعذيب الحيوان أو إيذاءه ، ودعت إلى الرأفة به ومن ذلك :

---

(١) الإسلام والحضارة م ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤

— تحريم حبس الحيوان حيث قال الرسول ﷺ : « دخلت إمرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشائش الأرض »(١) .

— تحريم إجاعة الحيوان وتعريضه للتلف والهزال والضعف : فقد مر الرسول عليه الصلاة والسلام ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة »(٢) .

— تحريم إتخاذ الحيوان هدفاً لتعليم الرماية والتلهى به فى الصيد فقد لعن رسول الله ﷺ من إتخذ شيئاً فيه الروح غرضا »(٣) .

— تحريم إرهاق الحيوان بالعمل الشاق المضنى ، الذى يكون فوق طاقته فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى »(٤) .

— إن الإسلام أمر بإحسان الذبح لما يؤكل لحمه ، وإحسان القتل لما فيه مضرة فقال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »(٥) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) رواه أحمد والحاكم .
(٥) رواه مسلم وأبو داود وراجع فى هذا البند : راتب السعود الرفق بالحيوان فى ضوء الشريعة الإسلامية مجلة الوعى الإسلامى ١٤٠٣هـ ص ٤٥ ، من روائع حضارتنا ص ١١٠

وبناء على ما تقدم أخذ المسلمون بما أوجبه الله عليهم ورسوله ﷺ من رفق ورحمة ورأفة بالحيوانات، فاعتنوا بها، وكشفوا عنها الأذى حتى أنه كان من وظيفة المحتسب أن يراقب الناس فيما يفعلونه مع دوابهم وإلى جانب هذه المراقبة من جانب الدولة والحاكم، كانت هناك مؤسسات للحيوان يلق فيها الرعاية والعناية من معالجة وتطبيب وتوفير العلف له، وكانت تحبس المراعى للخيول العاجزة لترعى فيها إلى أن تنفق[1].

ولعل أروع وأعظم ما أفاضت به الشريعة الإسلامية فى هذا المجال عدم محاكمة الحيوان وفى هذا يقول الرسول ﷺ: «جرح العجماوات جبار»[2].

فأين هذه الرحمة والشفقة والرعاية والرأفة والعناية مما تفعله الحضارات القديمة والحضارة الغربية المعاصرة من تعذيب للحيوانات كما يحدث فى مصارعة الثيران، وإتخاذ ذلك أداة للتسلية واللهو، هذا وتاريخ الحضارة الغربية ملىء بمحاكمة الحيوان كرجم الثور إذا نطح رجلا أو إمرأة وأفضى ذلك إلى موت النطيح[3].

---

(١) راتب السعود: الرفق بالحيوان ص ٤٩

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) من روائع حضارتنا مصطفى السباعى ص ١٢٦

ثالثاً : فى مجال العلوم :

ولم تقتصر آثار الحضارة الإسلامية على مجال العقيدة والخدمة العامة ، بل إمتدت أيضا لتشمل العلوم بكافة أنواعها ولو نظرنا إلى العلم نجد أنه فى الاصطلاح يشمل : المعرفة التى تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج كالطب والصيدلة وعلم الكيمياء وعلم الفيزياء وغيرها من العلوم وهذه عامة لجميع الناس ولا تختص بأمة من الأمم ، لذلك كان من الطبيعى ألا يرفض الإنسان مهما بلغ فى الحضارة منجزات غيره فى مجال العلوم ، الأمر الذى أدى إلى تطوير العلوم وإبتكار الكثير منها ، وهذا ما نشاهده من هذا الفيض الغزير من المنجزات العلمية ، التى أصبحت سمة بارزة تميز هذا القرن وتصفه بعصر العلم أو الذرة أو عصر التليفزيون والرادار أو عصر الفضاء والأقمار الصناعية وغزو القمر[١].

ومما يجب أن ننبه إليه أن الغرب ينسب إليه هذه المنجزات العلمية والتكنولوجية أو تنسب إليه وهذه مغالطة كبيرة ، فالغرب لم يكن فى استطاعته أن يحقق شيئاً من ذلك لولا هذه النهضة العلمية المذهلة التى أنجزها العلماء المسلمون على مدى قرون طويلة ، نتيجة الأبحاث والتجارب والدراسات التى قاموا بها ، حتى كانت تلك الثروة العلمية العظيمة التى هى الآن موزعة فى دول الغرب فى خزائنهم ومكتباتهم ، يعكفون على دراستها وترجمتها وتدريسها فى جامعاتهم ، ويبنون على أساسها الإبتكارات والاختراعات ، ومن هنا فالعلماء المسلمون لهم فضل السبق فى جميع العلوم والمعارف على الغرب وأتباعه وليس هذا من فراغ .

---

(١) راجع الإسلام وثقافة الإنسان صحيح عاطف الزين ٢٨٢

شهادة المنصفين من علماء الغرب :

يقول العلماء الغربيون المنصفون عن حضارة الإسلام :

إن الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات الأخرى للمسلمين كبير جداً ، وليس له وفاء إلا الاعتراف بما كان لهم من فضل السبق فى الابتكار والإختراع ، ونسبة هذه الإبتكارات والإختراعات إلى علمائهم وليس سلبهم إياها ، إلا أن الغرب لم يستطع أن يتخلص من عقدة الحروب الصليبية وعدائه للإسلام والمسلمين فراح ينكر على علماء المسلمين إبتكاراتهم وإختراعاتهم ويسلبهم إياها ، ينسبها تارة لنفسه ، وأخرى لغيرهم قصداً منه فى أن يركز لدى الأجيال الأوربية وأجيال المسلمين أن المسلمين لم يقدموا شيئاً يذكر ، ومن المؤسف أن ردد هذه الدعوى الكاذبة الكثير حتى أبناء المسلمين أنفسهم دون ترو أو تقص لما يدعيه الغرب .

لقد أبدع العقل الإسلامى وابتكر واكتشف ، وأغنى المعرفة العلمية وشملت منجزات المسلمين شتى أنواع العلوم ، وما زلنا حتى اليوم نقف دهشة وإعجاباً كلما سمعنا باكتشاف طبى فى الجراحة أو آلة حربية ، أو مكتبة وفيها كتب مجلدة ، أو شاهدنا ساعة كبيرة فى ساحة أو ركبنا البحار ترشدنا فى سيرنا بوصلة ، أو شاهدنا رواد الفضاء يغزون القمر ويخطون على سطحه أو قمنا بعملية حسابية . إن ذلك كله يذكر بما فعله العلماء المسلمون[1] .

ويقول جوستاف لوبون : كلما أمعنا فى درس حضارة العرب وكتبهم

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه ص١٢ بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر ١٩٧٩

واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، وسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً مدة خمسة قرون سوى مؤلفاتهم، وأنهم الذين مدنوا أوربا مادة وعقلا وأخلاقاً، وتأثير العرب عظيم فى الغرب، وهو فى الشرق أشد وأقوى[١].

ويقول أيضاً : إنه فى الوقت الذى كانت أوربا غارقة فى أظلم عصور الهمجية كانت بغداد، وقرطبة الحكومتان بالإسلام مركزين للحضارة البشرية يشعان على العالم كله بوهج العلوم والفنون والمعرفة[٢].

ويقول المستشرق الإنجليزى (جب) : —

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى استهدف استهدافاً عملياً تطبيق ما نردده نحن فى كنائسنا كل يوم أحد تطبيقه فى المجتمع الإسلامى. وكانت أداته التنفيذية فى ذلك هى التشريع[٣].

ويقول هونار بارخ فى بحث بعنوان : تأثير الفكر الإسلامى فى أوربا :

وأما العلوم التجريبية التى انتشرت فى أوربا فقد كان البدء فيها للمسلمين وتلك حقيقة لا تقبل الإنكار.

ويقول سارتون : إن المسلمين كانوا أعظم معلمين فى العالم[٤].

---

(١) حضارة العرب جوستاف لومون ص ٢٦

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام.

(٤) تاريخ الحضارة الإسلاميه — أبو زيد شلبي.

ويقول سيدوللو فى كتابه تاريخ العرب : إلى العلماء المسلمين يرجع الفضل الأكبر فى استخراج النهج العلمى ونقله إلى أوربا فى العصور الوسطى .

ويقول جاك ويزلر فى كتابه الحضارة العربية : سيطر الإسلام على العالم لمدة خمسة قرون بقوته وعلومه وبحضارته المتفوقة ، وكوريث لكنوز العلم والفلسفة الإغريقية نقل الإسلام هذه الكنوز بعد أن أغناها بالفكر الإسلامى إلى أوربا الغربية فوسع الإسلام بذلك آفاق الفكر الأوربى فى القرون الوسطى ، وترك ملامحه العميقة على الحياة الفكرية الأوربية .

ويقول سانتكيز البرونز معترفاً : إنه بينما كانت أوربا فى العصور المظلمة تنحدر فى هوة اليؤس والانحلال . كانت الحضارة الإسلامية تزدهر وتنتشر فى أسبانيا ، وتلعب دورا فعالا فى تطوير العلم والفلسفة والأدب فى أوربا المسيحية ، وقد تجلى تأثيرها فى عمالقة الفكر الأوربى » فى العصور الوسطى كما يبدو ذلك واضحاً فى كتابات القديس توماس الإقوينى ، ودانتى[1] .

هذه بعض آراء العلماء الغربيين التى تفيض بالاعترافات ، والشهادات الصريحة عن روعة الحضارة الإسلامية ورفعتها وأثرها العميق الوثيق فى حضارة أوربا الفكرية والعلمية .

وما أجدر المسلمين اليوم أن يسيروا على خطى أسلافهم ، وأن يسلكوا طريقهم ، وينهجوا نهجهم ، ويستأنفوا رسالتهم وحضارتهم حتى يصلوا إلى القمة والمجد والرفعة كما وصل أسلافهم .

---

(١) أنظر محاضرات فى الثقافة الإسلامية — أحمد محمد جمال ص ٤٠٧ دار الكتاب العربى ١٩٦٣

وإن هذه لمسئولية الأجيال كافة حاضرها ومستقبلها ، كما كانت مسئولية الأجيال الماضية .

وقبل أن نبين المنجزات التى قدمها المسلمون فى مجال العلوم لا بد من توضيح أمر هام وهو : المنهج الذى اتبعه المسلمون فى العلوم ، أو منهج البحث الذى نهجه المسلمون فى العلوم .

إن المتفحص لآيات القرآن الكريم والمتدبر لحكمه ومواعظه يدرك الأهمية العظمى ، التى حظى بها العلم والمكانة العليا التى شرف بها العلماء ، كما يدرك أن القرآن الكريم قد رسم للمسلمين المنهج الحق فى البحث فى الفكر والعلم ، مما كان له الأثر العظيم فى هذه الثروة الفكرية والعلمية اللتين تفخر بها الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات[1] .

فالقرآن الكريم قد دعا إلى منهج البحث الفكرى ، الذى يوافق العقل وأحكامه وهو منهج يقوم على الحجة والبرهان والدليل العقلى قال عز وجل: « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون »[2] .

وقال جل فى علاه : «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[3] ، وهو منهج يقوم كذلك على التثبت من النقل وعلى الفقه بقواعد فهم النصوص القرآنية والنبوية وقواعد استنباط الأحكام منها ، وضوابط القياس مما هو معروف فى علم أصول الفقه مما لم يتوافر فى أى دين آخر أو نظرية وضعية .

كذلك دعا القرآن الكريم إلى منهج البحث فى العلوم فى كثير من الآيات

---

(١) أصالة الحضارة العربية ص ١٩٨ ناجى معروف .
(٢) سورة المؤمنون الآية : ١١٧
(٣) سورة البقرة الآية : ١١١

واتبع المسلمون هذا المنهج فى مجال العلوم التجريبية ، قال تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٭ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ٭ إنما يخشى الله من عباده العلماء ٭ إن الله عزيز غفور »[1] .

وهو منهج يقول بالملاحظة والتجربة وهما طريق الوصول إلى الحقائق العلمية[2] .

وهذا المنهج العلمى ، الذى أكده الحسن بن الهيثم ما زال قائماً حتى اليوم ، وقد أخذه الغرب عن الحسن بن الهيثم ولم ينسبوه إليه بل زعموه ظلماً وزوراً وبهتاناً لروجر بيكون وفرانسيس بيكون وجون مل ستيورات[3] .

ولكن هذا الزعم وجد من يرفضه من المفكرين الغربيين المنصفين .

يقول الأستاذ بريفلوت فى كتابه بناء الإنسانية : أن هذا المنهج، منهج إسلامى أصيل لم يعرفه اليونان « ولولا المسلمون لما عرفته أوربا ... ثم قال : لقد نقل روجر بيكون هذا المنهج عن المسلمين ، بعد أن درس اللغة العربية والفكر الإسلامى على أيدى معلمين تتلمذوا على العلماء فى الأندلس وروجر نفسه لم يمل قط من التصريح بذلك وهو يعلم معاصريه

---

(١) سورة فاطر : ٢٧ ، ٢٨

(٢) كتاب البحوث الإسلامية محمد غسان طه ، محمد هاشم ريان ، ص ١٨٠ .

(٣) الإسلام والحضارة ، أنور الجندى ص ٥٢ ، معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٩٦ عبد الكريم عثمان .

أن اللغة العربية وعلوم المسلمين هى الطريقة الوحيدة لمعرفة الحق[1] .

ويؤكد هذا الأمر المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه عندما تقول : إن مآثر المسلمين الخالدة لتقوم على ابتكاراتهم المنهج الذى يقوم على المشاهدة والتجربة . وهم الخالقون الحقيقيون للاستقصاء العلمى، فالمنهج العلمى التجريبى عند المسلمين ليس تصحيحاً أو تعديلا لمنهج اليونان ، بل ابتكار أيرتكز فى فلسفته على النظرة إلى الكون والإنسان والحياة[2].

وكما ابتكر المسلمون وأصلوا منهج البحث العلمى أنطلاقاً من عقيدة التوحيد ، فإنهم أصلوا كذلك الصفات الخاصة بالباحث والعالم ، فقد اشترطوا فى البحث التواضع والأمانة والصدق والعدل والنزاهة والبعد عن الهوى وتجنب التعصب والتحيز ، كما اشترطوا فى الباحث اليقظة وقوة الملاحظة .

والإسلام لم يعادى العلم ولم يقف فى طريقه ، كما فعلت الكنيسة فى عدائها للعلم والعلماء ، فقد قامت بحرق العلماء وقتلهم وصلبهم كما أنها حجرت عليهم باعتبار أنهم أشرار اختلت أجسامهم أرواح شريرة. أما الإسلام فقد جعل العلم بأسس الدين فريضة عينية وجعل العلم بتفصيلاته وبالعلوم التجريبية والتطبيقية فرضاً كفائياً ، وهذا يعتبر ربطاً بين الدين والعلم، ولم يكتف المسلمون بذلك فقد ربطوا بين العلم والعمل، وبين العلم والحياة . ومن هنا كان العلم عند المسلمين وسيلة نافعة للأمة فى مواجهة قضاياها وحل مشاكلها وكل ما يساهم فى تقدمها المعنوى والمادى سواء بسواء[3].

---

(١) حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٤٣٥، شبهات التعريب أنور الجندى ٢٧٢

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ٤٠١ ، شبهات التعريب — أنور الجندى ٢٧٣

(٣) أسس الحضارة الإسلامية عبدالرحمن حسن حنبكة ص ٢٣٩ بتصرف

ومن أجل ذلك عمل المسلمون فى ميادين العلم العامة ، لأنهم يعلمون أنهم في عبادة دائمة وعظيمة يثابون عليها من عند الله تعالى أعظم الثواب وقد حالفهم التوفيق فألفوا واخترعوا وكانوا سادة العالم فى هذا المضمار .

يقول جوستاف لوبون فى كتابه : حضارة العرب :(لم يكد العرب يتمون فتح الاندلس حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة عليها ، فاستطاعوا فى أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرض ويعمروا خراب المبانى ، ويوطدوا وثيق التجارة ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ، وينشئون الجامعات التى ظلت وحدها ملجأ للثقافة فى أوربا زمناً طويلا) . وفيما يلى بيان بالعلوم والعلماء :...

١ — الطب : —

يعتبر الطب من العلوم التى اهتم بها المسلمون اهتماماً عظيما وحاز منزلة كبيرة ، وكان لهم فيه منجزات باهرة وذلك عملا بقول رسول الله ﷺ تداووا عباد الله ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير واحد،قيل: يارسول الله وماهو ؟ قال : الهرم [1] ومن هنا اتجه المسلمون إلى الطب ونبغوا فيه ، حتى صار الطلاب يأتون من جميع أنحاء العالم إلى مدارس المسلمين لنهل العلم من الطب والصيدلة وغيرها من العلوم :

لقد كان الطب خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة النبوية جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية العامة وظهرت مؤلفات عربية طبية وقام الأطباء المسلمون بدور فعال فى تقديم العلوم الطبية لدى الغربي إذ

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه عن أسامة ابن شريك .

ظلت كتب الرازى وابن سينا وأبى القيس وابن زهر أساساً للدراسات الطبية فى المدارس الغربية خلال قرون عديدة ، ومن أوسع المؤلفات الطبية العربية وأشهرها كتاب الحاوى وكتاب المنصورى للرازى وكتاب القانون فى الطب لابن سينا الذى اشتهر بالعربية فى روما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذ أساساً لتدريس الطب فى جامعات إيطاليا وفرنسا خلال ستة قرون كاملة [1].

وتدل الوثائق التاريخية على أن جميع الأطباء والمؤلفين الأوربيين فى الطب استقوا معظم كتاباتهم فى الطب عن المسلمين لا عن اليونان [2].

وإلى أطباء المسلمين يرجع الفضل فى وضع منهج للطب وهو أساس المنهج العلمى الحديث، وذلك باعتمادهم على التجربة والملاحظة والتشخيص الذاتى ، واستخدام العقاقير والجراحه فقد استطاعوا أن يضعوا لكل داء دواء ، فأنقذوا الطب مما اختلطبه من الخرافات والسحر والتعاويذ والتمائم التى توارثتها أجيال القدماء من الأمم [3]. ويشهد على ذلك علماء من الغرب يقول : قرانان وشارلز فى كتاب لهما أسمياه السحر والطب عند الأنجلو سكسونى (ومما لا يقبل الشك أن تأثير علماء المسلمين فى الطب على أطباء أوربا لا يحتاج إلى برهان ودليل [4]

الأطباء المسلمون :

هذا وقد نبغ فى الطب كثيرون نذكر منهم :

---

(١) انظر محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد محمد جمال ص ٢٩٧

(٢) أعلام العرب والمسلمين فى الطب على عبد الله الدفاع .

(٣) المسلمون علماء وحكماء حسن محمد الشرقاوى ص ٣٠

(٤) أعلام العرب والمسلمين على عبد الله الدفاع ٣٠

الرازى أبو بكر بن زكريا ويعد من أشهر أطباء المسلمين ، ولقد خصصت له جامعة برنستون بأمريكا أضخم ناحية فى أجمل أبنيتها تخليداً لمآثره والرازى حجة فى الطب فى أمريكا وأوربا غير منازع ، وأشهر كتبه (الحاوى) الذى جمع فيه صناعة الطب ، ويقع فى ثلاثين مجلدا وله غيره ما يزيد عن مئتين وعشرين مؤلفاً [1] :

وقد تحدث الرازى فى كتاب (الحاوى) عن الحميات الطفحية كالجدرى والحصبة واستخدم الرازى فى الصيدلة استعمال المسهلات الخفيفة ،والماء البارد فى حالات الحمى المستعصية ، ولقطع نزيف الدم ،واستعمال الكاويات والفتائل .

ـ ابن سينا وله كتاب (القانون) الذى يتحدث فيه عن علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وعلم الأمراض وعلم المواد الطبية ،وألف ابن سينا أيضاً كتابا فى علاجات أمراض القلب ، وبلغت علاجاته الطبية ٧٦٠ علاجاً [2] .

ـ ابن النفيس ومن أشهر كتبه (شرح تشريح القانون) وهومكتشف الدورة الدموية ، التى زعمها زوراً وبهتانا الطبيب الإنجليزى(وليم هارف) إلى نفسه وهذه طبيعتهم الكذب والخيانة والسرقة وإدعاء ماليس لهم ، ولكن هناك من تكفل بالرد على هذا الإدعاء من جانب وليم هارف وعابوا عليه فعلته وأثبتوا أن مكتشف الدورة الدموية هو الطبيب ابن النفيس [3].

---

(١) العلوم عند العرب قدرى طوقان ص ١٥ ، أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الغربية أحمد على الملا ١٣٨

(٢) محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد محمد جمال ص ٣٩٧ ، ٣٩٨

(٣) انظر أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الغربية ص ١٣٩ ، شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه ٢٦٢

ومن هنا أصبح واضحاً للجميع أن علماء الغـــرب يحاولون بكل ما استطاعوا أن يستنسخوا معظم النظريات العلمية التى ابتكرها العلماء المسلمون وينسبوها لأنفسهم زوراً وبهتاناً ، حتى أصبح ذلك قاعدة عامة عندهم ولكن نقول إن الله من ورائهم محيط وبكيدهم عليم .

ــ أبو القاسم الزهراوى نسبة إلى الزهراء بالأندلس ، وهو فخر الجراحة فى الطب فى الإسلام ، وإليه تعود صناعة آلات الجراحة واستخدامها وأشهر مؤلفاته (التصريف لمن عجز عن التأليف ، ويقع فى عشرين مجلداً ضخماً وهو أبو الجراحة فى أوربا بلا منـــازع ، وقد اشتغل بمرض السرطان وعلاجه ، وأعطى هذا المرض الخبيث وصفاً وعلاجاً بقى يستعمل خلال العصور حتى الآن فلم يزد أطباء القرن العشرين كثيراً على ماقدمه علامة الجراحة [1]

ــ على بن عيسى الكحال ، وله كتاب (تذكرة الكحالين) ويعد أشهر كتاب فى طب العيون ، ثم ابن زهر الأشبيلى وهو من أسرة اشتهرت فى الطب وغيرهم كثير . تذكر صاحبة كتاب شمس العرب : أنه كان فى زمن الخليفة المقتدر بالله (ثمانمائة طبيب ونيفا وستين طبيبا) وكلهم ترك مؤلفات هى غاية فى الأهمية وقام الغرب بدراستها بعد ماترجمها [2] .

كذلك سبق المسلمون إلى الطب الوقائى الذى كان معروفا فى ذلك الوقت بعلم الصحة ، وهو علم يبحث فى طرق الوقاية من الأمراض قبل حدوثها ، كما سبقوا إلى تدريس الطب فى المستشفيات نفسها التى كانت ملاجىء للمرضى ومجالس للدراسة الطبية معا ، فكان الطلاب يدرسون الطب بالقـــرب من أسرة المرضى أكثر مما يدرسونه فى الكتب وهى الطريقة السليمة والمتبعة فى عصرنا الحاضر ، فالطلاب بعد تخرجهم من الكلية يقضـون عاماً فى بعض المستشفيات للتمرين على شئـون الفحص

---

(١) أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الغربية ص١٣٠ أحمد على الملا .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ٢٣٥

وطرق العلاج إلى جانب الأطباء المتفوقين وقريباً من المرضى الذين يعالجونهم . كما كان الأطباء العرب يفردون لكل نوع من المرض مصحاً خاصاً كالمجانين والمجاذيب وهذا الأمر متبع فى عصرنا الحاضر حيث تقوم المستشفيات الخاصة لكل صنف من المرضى: كمرض السل والجنون والعيون

يقول جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب عن الطب العربى : (إن الطب العربى القديم كان يعتمد كثيراً على علم الصحة — أى الطب الوقائى- وعلى المعالجة بالوسائل الطبيعية ، ولن يكون أمر الطب المنتظر غير ذلك)وهذا ماتحقق فعلا فى ميدان الطب الحديث فقد لجأ إلى الوسائل الطبيعية لمعالجة كثير من الأمراض ، كالصوم لإراحة أجهزة الهضم وشفائها من العلل والسموم المتراكمة من كثرة الأكل ، والنوم لتهدئة الأجهزة العصبية وتنقيتها من المؤثرات الخارجية والداخلية ، وقد انشئت مصحات لمعالجة المرضى بهذين العلاجين الطبيعيين (الصوم-النوم فى كل من أوربا وأمريكا [1] ويكفى الأطباء شرفا وفخراً أن جماع الطب الوقائى قول الرسول ﷺ: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع وقوله ﷺ : ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، والمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء

٢ — المستشفيات :

أما المستشفيات فقد بناها المسلمون على أساس من المنهج العلمى الذى أصلوه ، وذلك من حيث اختيار المكان وتصميم البناء وتنظيمه مما جعل علماء الغرب يتعجبون من هذا العمل العظيم فيقول جوستاف لوبون : يظهر أن مشافى العرب ، التى أنشئت فيما مضى أفضل من مشافينا الحديثة، فقد كانت واسعة ذات هواء كثير وماء غزير [2]

---

(١) محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد محمد جمال ص ٣٩٨-٤٠٠ بتصرف

(٢) حضارة العرب ص ٤٩٢

كما كانت هذه المستشفيات تسير على نظام دقيق وأصول مرعية لاتتميز عنها المستشفيات الحديثة إلا من حيث المدنية فقد كانت مزودة بالأدوية والأطعمة والأشربة والملابس . كما أنها تميزت يبعدها عن أماكن الضوضاء مما تعانى منه بعض المستشفيات فى عصرنا الحاضر ، كذلك تنوعت المستشفيات عند المسلمين وعمت ديار العالم الاسلامى ، منها ماكان عاما لجميع أمراض البدن ، ومنها ماهو خاص ببعض الأمراض العقلية والجذام والسل ، وهناك المستشفيات الجراحية التى خصصت للعمليات الجراحية ، ومن المستشفيات ماكان ثابتا فى المكان الذى أقيم فيه ، ومنها ماكان متنقلا حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها أضف إلى ذلك المستشفيات الميدانية التى تصحب الجيوش أثناء المعركة.

ثم إذا نظرنا إلى داخل المستشفيات نجد أنها كانت مقسمة إلى أجنحة خاصة للرجال وأخرى خاصة للنساء ، وكل منها مقسم إلى غرف وعنابر حسب الأمراض المختلفة ، فعنبر للعيون، وآخر للكسور وثالث للحميات ثم غرفة الطوارىء وهى مانسميها الآن إسعافات أولية.

وكان يشرف على هذه المستشفيات أطباء مهرة فى كل تخصص من التخصصات أما المرضى فكانوا يلقون كل اهتمام ورعاية من جانب الأطباء ، من حيث فحصهم ومعالجتهم وتقديم الطعام لهم . ثم اعطاؤهم كسوة ونقودا إذا ماخرجوا من المستشفى حتى يتقووا بها .

وأشهر هذه المستشفيات : المستشفى العضدى فى بغداد ، وكان يضم أربعة وعشرين طبيبا مختصا ، والمستشفى المنصورى ، والمستشفى النورى بدمشق ، ومشافى الأندلس .

يقول جوستاف لوبون : يعود الفضل فى انشاء المشافى الأوربية

الحديثة ومعاهد الطب إلى مشافى المسلمين[١] .

٣ — الصيدلة :

وفى الصيدلة نبغ المسلمون فهم أول من وضع أسس فن الصيدلة وأول من أنشأ مدرسة للصيدلة ، ومخازن الأدوية والصيدليات وأقاموا الرقابة عليها فى كل مدينة ، وأطلقوا على من يقوم عليها الصيدلانى، وكان الصيادلة لا يباشرون صناعتهم إلا بعد دراسة وأجازة وترخيص، وكان الصيدلانى يرتدى ثيابا بيضاء ويقف بباب صيدليته يصرف الدواء ومن ورائه الأرفف الممتلئة بالأوعية والقوارير[٢] .

ومن هنا كان يرجع اليهم فى تحضير الدواء والوصفات التى تكتب للمرضى لخبرتهم وتفوقهم . ومن أجل ذلك ألحقت الصيدلة بالمستشفيات والعيادات كما هو موجود فى عصرنا الحاضر .

هذا وقد وضع العلماء المسلمون مصنفات نفيسة فى الصيدلة ،تناولت الأدوية وتركيبها ، واستخلاص العقاقير من الأعشاب والحشائش كما تناولت أيضا الأغذية وتصنيفها ، ولقد أبدع الصيادلة فى فن مزج المواد الكيماوية فى شكل أقراص ومحاليل وتوصلوا إلى تغليف الحبوب التى كانوا يصفونها للمرضى وكان للعلماء المسلمين فى هذا الفن اليد الطولى فى ذلك لما قدموه من بحوث فى صفات المواد والنباتات والأعشاب من هؤلاء العلماء جابر بن حيان وابن البيطار كما كشف العلماء عن عقاقير

---

(١) حضارة العرب ص ٤٩٣ وأنظر: العلوم عند العرب قدرى طوقان ٣٢ ، شمس العرب تسطع على الغرب زيغر يدهونكه ص ٢٢٧

(٢) العلوم عند العرب ص ٢٣

جديدة كالكافور ، واستحضروا إلى جانب ذلك المستخلصات العطرية من الورد وسائر أنواعه .

ومن الكتب القيمة فى علم الصيدلة كتاب (المعتمد فى الأدوية المفردة) وكتاب (الأقراباذان) أى علم الأدوية لابن سهل، وهو من الكتب المهمة ويحتوى على اثنين وعشرين بابا فى الأدوية ، ويعد كتاب (تذكرة داود) وهو كتاب ضخم من أهم الكتب فى الصيدلة والعقاقير .

ولعل أن هذه العقاقير التى توصف لعلاج المرضى لم يترتب عليها مضاعفات والسبب أنها مستخلصة من مواد خالية من السموم والمواد الكحولية . كالأعشاب والنبات ، بخلاف مستحضرات الأدوية التى دخلتها هذه الأشياء كما هو الآن عند الغرب وغيرهم[1] .

يقول جوستاف لوبون : وعلى العموم فالطب المعاصر مدين للمسلمين بعقاقير كثيرة كما هو مدين لهم بفن الصيدلة ، وبكثير من المستحضرات التى لاتزال تستعمل كاللزقات والمراهم والمياه المقطرة[2] .

٤ — الكيمياء :

أما بالنسبة إلى الكيمياء فالمسلمون هم الذين وضعوا أسس هذا العلم وذلك بما قاموا به من تجارب ومستحضرات كيماوية ، استعملت هذه المستحضرات فى صناعات كثيرة منها صناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية ، وقد قام الغرب بنقل هذه الصناعات وغيرها

---

(١) أنظر : العلوم عند العرب قدرى طوقان ٢٤ ، تاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ٢٩٤

(٢) حضارة العرب : ٤٩٤

عن المسلمين ، كالحرير الصناعى ، والسماد الصناعى ، وصناعة الزجاج والصياغة وطلى الخشب بما يمنعه من الاحتراق، وصناعة الروائح العطرية من الورود ، وصناعة الورق ، كما نقل الغربيون أيضاً عن المسلمين أكثر من خمسين اسماً من الأسماء الكيماوية التى وضعها المسلمون كالكحول ، والزرنيخ ، والقصدير ، كذلك اكتشف العلماء المسلمون الكثير من الأحماض والأكاسيد ، كزيت الزاج (الكبريتيك) وأكسيد الزئبق[١] ويؤكد هـــذا جوستاف لوبون فيقول : إن المعارف التى انتقلت إلى المسلمين عن اليونان فى الكيمياء ضعيفة ، وما اكتشفه العلماء المسلمون من المركبات الكيماوية المهمة لم يكن لليونان علم به[٢].

أما عن أشهر الكيميائيين فهو العالم العلامة جابر بن حيان صاحب كتاب (نهاية الإتقان) وكتاب (السموم ودفع مضارها) وهو من أندر المؤلفات فى هذا العلم ، ورسالة الإفران وغيرها، هذا وقد ترجمت جميع هذه المؤلفات إلى اللغـــات الأوربية ، بل إن أكثر من مائة مؤلف فى الكيمياء لجابر بن حيان موجودة فى مكتبات الغرب .

ومن هنا فالكيمياء تنسب إلى جابر بن حيان وليس إلى غيره .

ويؤكد هذه الحقيقة عالم من العلماء المنصفين وهو جوستاف لوبون فيقول ساخرا ممن يزعم علم الكيمياء لغير جابر بن حيان : (لقد نسوا أننا لا عهد لنا بعلم من العلوم ومنها علم الكيمياء ، وأنه وجد عند العرب

---

(١) راجع فى هذا العلوم عند العـــرب قدرى طوقان ص ٢٦ بتصرف .

(٢) حضارة العرب ٤٧٤

من المختبرات ما وصلوا به إلى اكتشافات لم يكن (لافوازيه) ليستطيع أن ينتهى إلى اكتشافه بغيرها ، ويقول أيضاً : إن كتب جابر بن حيان موسوعة علمية حاوية خلاصة ماوصل اليه علم الكيمياء فى عصره[1].

أضف إلى جابر بن حيان من علماء الكيمياء من المسلمين : الرازى الطبيب المشهور والمجريطى وهو مسلمة بن أحمد إمام أهل الأندلس والخشاب وهو أبو بكر بن وحشية[2].

٥ — علم الفلك :

يعرف علم الفلك عند العرب (بعلم الأنواء) ، وكان اهتمامهم بهذا العلم فى الجاهلية لأنهم أهل بداوة عاشوا فى الصحراء وتحت السماء الصافية صاحبة النجوم اللامعة . كما كانت معيشتهم تعتمد على الماء والكلأ ، ولذلك أمعنوا فى ملاحظة الكواكب فى السماء وترقبها ، أضف إلى ذلك خبرتهم فى الرياح والانواء ، ومعرفة مواقع النجوم وبها استدلوا على الأزمان (الفصول) وعلى الأوقات (ساعات الليل والنهار) كما عرفوا عددا كبيرا من الكواكب والنجوم منهــا زحل والمشترى والمريخ والزهرة[3].

---

(١) حضارة العرب ص ٤٧٥

(٢) تاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ٢٤٢ ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه عبد الحليم منتصر ص ١١٠

(٣) أنظر : أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك : على عبد الله الدفاع ص ٢٤

ولما جاء الإسلام إتجه المسلمون إلى دراسة علم الفلك، فالقرآن الكريم وجه أنظار الناس نحو السماء وما فيها من أفلاك ونجوم وبروج قال عز وجل : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »[1] .

كما أن هناك آيات كثيرة تدعو الإنسان وتحثه على التأمل والتفكر والتدبر من ذلك قوله عز وجل : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »[2] .

وقوله جل فى علاه : « فلا أقسم بمواقع النجوم »[3] .

وقوله سبحانه : « والسماء ذات البروج »[4] .

وقوله أيضا : « والضحى والليل إذا سجى »[5] .

ولقد مهد فهم المسلمين لهذه الآيات السابقة الطريق أمامهم إلى هذا العلم ودفعهم إلى الإهتمام به إهتماماً كبيراً ، حيث أن له علاقة وثيقة بأمور الدين والدنيا سواء كان هذا فى العبادات أو المعاملات ، فكثير من مسائل هذا العلم تطالب المسلم بمعرفتها كأوقات الصلاة ، ومواقع البلدان الإسلامية من القبلة ، ووقت ظهور هلال شهر رمضان ، وأشهر الحج وغيرها من الأشهر ، نقرأ ذلك فى قوله الله عز وجل :« وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون »[6] .

---

(١) يونس ١٠١ — (٢) يس ٣٨ — ٤٠

(٣) الواقعة ٧٥ — (٤) البروج ١

(٥) الضحى ١ — (٦) الأنعام ٩٧

وقال تبارك وتعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج »[١] .

وقال سبحانه : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »[٢] :

وقال أيضاً : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل »[٣].

ولشدة حاجتهم إلى علم الفلك تعمقوا فيه ونبغوا وذلك لما اقتضته الضرورة من علاقة هذا العلم بغيره من العلوم كالمثلثات مثلا ، ومن هنا ترك المسلمون آراء علمية عظيمة أودعوها مصنفاتهم وهى الآن موزعة فى مكتبات الغرب ومن أهم هذه المصنفات كتاب : (صور الكواكب الثابتة) وكتاب (العمل بالاسطرلاب) وكلاهما لأبى الحسن الصوفى .

٣٧٦ هـ وهو من أعظم علماء الفلك فى الإسلام ، أضف إلى ذلك أبو الوفاء البوزجانى والبيرونى ويعتبر من أبرز العقول المفكرة فى هذا العلم وله فيه مصنفات كثيرة فقد ألف ما يقارب ثلاثمائة مؤلف ما بين كتاب ورسالة[٤] .

وبناء على ما سبق فإن لعلماء المسلمين مآثر عظيمة فى علم الفلك منها.

١ — أنهم أخرجوا علم الفلك من حد النظريات إلى العمليات والرصد .

---

(١) البقرة ١٨٩ (٢) التوبة ٣٦

(٣) الإسراء ٧٨

(٤) أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك : على عبد الله الدفاع ص ٥٢

٢ — أنهم عينوا مدة السنة بالضبط وقالوا بدوران الأرض .

٣ — حققوا مواقع النجوم ، ورصدوا الاعتـــدالين الربيعى والخريفى .

٤ — أنشأوا المراصد الفلكية كمرصد البتانى .

٥ — اخترعوا آلات الرصد ، كالإسطرلاب ، والإبرة المغناطيسية والمنظار ، إذن بفضل علماء المسلمين تقدم علم الفلك تقدماً كبيراً حتى أصبح علماً إسلامياً محضاً كالكيمياء والمثلثات والجبر .

يقول سارطون : إن بحوث المسلمين الفلكية كانت مفيدة جداً إذ أنها هى التى مهدت الطريق للنهضة الفلكية (١) .

٦ — الرياضيات :

أما الرضيات فحدث عنها ولا حرج، فقد اهتم المسلمون بها وبرعوا فيها ولذلك فهم أول من أسس هـذا العلم . وأول من جـدد تعريفه ، ثم أطلقوه على الحساب والجـــبر والهندسة والمثلثات والفضل يرجع إلى القرآن الكريم ، فهو الذى أثار العقل الإنسانى ،وجعل معرفة هذا العلم وسائر العلوم فرضا كفائيا إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، وذلك لارتباط هذه العلوم بحياة المسلمين الدينية والدنيوية ، فقد كانوا فى حاجة ماسة إلى الحساب والجبر لحساب المواريث والفرائض ، وإلى الهندسة كذلك لبناء المساجد وتحديد القبلة ، وإلى المثلثات أيضا لبناء المآذن والمنائر والجسور وتخطيط المدن وغير ذلك .

---

(١) تاريخ العلم ودور العلماء عبد الحليم منتصر ص ٢٠٢ ، العلوم عند العرب قدرى طوقان ص ٦٥

فالحساب عرفه المسلمون وهم الذين أطلقوا عليه هذا الإسم ، فقد جاء ذكره فى القرآن الكريم قال تعالى : « لتعلموا عدد السنين والحساب »[1] .

وقال عز وجل : « ولتعلموا عدد السنين والحساب »[2] .

ومن هنا أقبل المسلمون على علم الحساب لارتباطه بشئون دينهم ودنياهم ، وكانوا يوصون بعضهم بعضا ويقولون : ولا تضيعوا النظر فى الحساب فإنه قوام خراجكم[3] .

ومما يسجله التاريخ فخراً للمسلمين فى علم الحساب أنهم وضعوا نظام الترقيم العشرى وهو المستعمل الآن ، وأول من إستخدم الصفر ورمزوا له بالنقطة ، ولذلك يعد الصفر أساس كل التكنولوجيا الحديثة التى تعتمد على الكمبيوتر ، كذلك من مفاخرهم وضع جداول اللوغارتيمات وصاحب هذا الفضل هو الخوارزمى[4] والجبر أيضا اشتغل فيه المسلمون وذلك لحاجتهم إليه فى المواريث والفرائض .

ولقد نبغوا فيه نبوغا عظيما مما جعل أحد العلماء يقول إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله المسلمون فى الجبر[5] .

كذلك يعتبر المسلمين أول من أطلق لفظة الجبر على هذا العلم ، ويعد الخوارزمى واضع علم الجبر فى كتابه (الجبر والمقابلة) وقد أحدث هذا

---

(١) يونس ٥ (٢) الإسراء ١٢

(٣) تاريخ الأدب العربى عمر فروخ ج ١ ص ٢٣٠

(٤) أنظر أسماء علماء المسلمين فى الرياضيات علي عبد الله الدفاع ص ٢٧

(٥) العلوم عند العرب قدرى طوقان ص ٥١

الكتاب أثراً كبيراً فى تقدم علمى الجبر والحساب ولا يزال يحفظ فى مكتبة لودبيان باكسفورد ، ومن مفاخرهم فى الجبر أنهم وضعوا المعادلات المركبة واستعملوا الرموز واستخرجوا الجذور فسبقوا الغربيين أمثال ديكارت وستيفن وإليهم يرجع الفضل فى نشأة علم التفاضل والتكامل .

أما حساب المثلثات فيعتبر علماً إسلامياً محضاً ، ويعود الفضل إلى المسلمين فى ظهور هذا العلم ، كما أنه ينسب إليهم وكانوا يطلقون عليه (علم الأنساب) أى النسب وزواياه وما دفعهم إلى الاهتمام بعلم حساب المثلثات حاجتهم إليه فى بناء المآذن والمنائر والجسور ومعرفة القبلة .

ومما هو جدير بالذكر والبيان أن الغربيين لم يعرفوا علم حساب المثلثات إلا فى القرن الخامس عشر عندما ترجموا مؤلفات المسلمين فى هذا العلم إلى لغاتهم ومن أشهر من أشتغل فى علم حساب المثلثات عبد الله بن جابر البتانى وأبو الوفاء البوزجانى[1] .

وأما الهندسة بالنسبة للمسلمين ففيها فائدة قيمة حيث كان الباعث عليها حاجتهم فى تشييد القصور وتخطيط المدن وبناء القلاع والحصون وعمارة المساجد ومن أشهر العلماء فى ذلك البيرونى الفلكى والخوارزمى ونصير الدين الطوسى ، والعلم أن الأوربيين لم يعرفوا علم الهندسة إلا بعد ترجمة مؤلفات المسلمين[2] .

---

(١) أنظر تاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ص ١٤٥
(٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ١٤٠

٧ — الفيزياء :

أما علم الطبيعة فالمسلمون لهم فضل كبير وسبق عظيم فى هذا العلم ولهم فيه مصنفات كثيرة من ذلك رسائل الحسن بن الهيثم فى البصريات وما اشتملت عليه من بحوث ونظريات ، فقد كانت الأساس لكل الدراسات والبحوث التى كتبها علماء أوربا مثل (ليوناردودافنشى الإيطالى) (وروجر بيكون ، واسحاق نيوتن ، وديكارت ، ولا نبالغ إذا قلنا : إنه لولا البصريات ونتائج المسلمين فيها لما تقدم علم الفلك والطبيعة هذا التقدم العجيب ، ومن هنا عد ابن الهيثم فى نظر العلماء فى مقدمة أعلام علماء الطبيعة فى جميع العصور والأحقاب[1].

أما فى الميكانيكا فقد كتبوا فيها وتقدموا وكان لهم السبق على غيرهم يقول جوستاف لوبون : تعد معارف المسلمين العلمية العملية الميكانيكية واسعة جداً ونستدل على مهارتهم فى علم الحيل (الميكانيكا) من بقايا آلاتهم كآلات رفع الماء والنوافير التى تتبدل من تلقاء نفسها ، وكذلك الساعات المائية، والساعات ذات البندول الرقاص كساعة الجامع الأموى الشهير التى أكثر المؤلفون من ذكرها[2].

ونذكر من العلماء المسلمين ، الذين كتبوا فى علم الميكانيكا البيرونى والجزرى صاحب كتاب (العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل) الذى يصف فيه خمسين آلة ميكانيكية هيدرولكية ، وأما فى الروافع فلهم

---

(١) العلوم عند العرب قدرى طوقان ١٥٨، تاريخ العلوم عند العرب عمر فروخ ٢٣١

(٢) حضارة العرب ٤٧٤

بحوث نفيسة فقد كان لديهم آلات الرفع كلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الأثقال بقوى يسيرة كما أنهم استعملوا الموازين الدقيقة ويعد (الخازن من أعظم من كتب فى علم الحيل فمؤلفه (ميزان الحكمه) من أكثر الكتب بحثا فى علم الحيل ، وأما فى الجاذبية فقد سبقوا (نيوتن) وعنهم أخذ علم الجاذبية وزاد عليها بان أفرغها فى قوانين ، كما بحث المسلمون فى الضغط الجوى وسبقوا (تورشيللى) فى هذا الموضوع[1] .

٨ — المكتبات :

لقد كان حب المسلمين للعلم فى جميع ميادين المعرفة دافع كبير إلى إنشاء المكتبات والتنافس فيها ، بل أولوها عناية فائقة ، وأودعوها كل ما انجزته الحضارة الاسلامية من انتاج ولقد حفلت المدن الاسلامية عبر العصور بالمكتبات على اختلاف أنواعها وهذا إن دل على شيء فأنما يدل على الأهمية العظمى من جانب المسلمين للمكتبات .

فمثلا هناك مكتبات المساجد وتذكر منها مكتبة مسجد القمرية ، وهو المسجد الذى بناه الخليفه المستنصر بالله فى بغداد ، فبعد أن انتهى من تأثيثه جعل المسجد مكتبة وحمل إليها الكتب الكثيرة ، هذا وقد كان لمكتبات المساجد قوام ومشرفون على شئونها ، وكانت تحبس عليها الأموال[2] .

---

(١) العلوم عند العرب قدرى طوقان ص ٣٥ ، المسلمون علماء وحكماء حسن محمد الشرقاوى ٢٣٠

(٢) أنظر . تقييد العلم للخطيب البغدادى تحقيق يوسف الحسن . ص ١٣٧

كذلك من مكتبات المساجد مكتبة مسجد قرطبة التى أحرقها النصارى الأسبان عندما احتلوا الأندلس بأمر الكاردنيال كارلو[١] .

وأيضا من مكتبات المساجد ، التى لا تزال موجوده إلى يومنا هذا مكتبة الجامع الازهر بالقاهرة بمراجعها ومخطوطاتها النادرة ، وكذلك مكتبة الجامع القروى بفاس ، وجامع الزيتونة بتونس أضف إلى هذا المكتبات الخلافية ، التى أنشأها الخلفاء والأمراء .

منها على سبيل المثال : مكتبة الخليفة الحكم الثانى فى الاندلس .

فقد ذكر ابن خلدون : أن عدد فهارس هذه المكتبة الخاصة بالكتب أربعة وأربعون فهرسة فى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الكتب[٢] .

المكتبات العامة فحدث عنها ولا حرج فقد كانت منتشرة إنتشاراً عظيماً وكانت المطالعة فيها حرة للجميع ، وكذلك بالنسبة للإعارة الخارجية ،

ومن هذه المكتبات مكتبة بنى عمار فى طرابلس الشام . ولقد روى أن عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مجلد وكان معظمها مجلد ومزخرف ومحلى بالذهب والفضة ، ولقد أحرق الصليبيون هذه المكتبة بأمر من أحد القسس .

أما مكتبات المدارس فهى كثيرة أيضاً منها مكتبة المدرسة المنصورية والنظامية والصلاحية ، ومن المكتبات الأكاديمية نذكر بيت الحكمة فى بغداد ودار العلم فى القاهرة ، وأما المشافى فنذكر مكتبة مستشفى ابن

---

(١) المكتبات فى الإسلام محمد ماهر حمادة

(٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون جـ٤ ١٤٦

قلاوون فى القاهرة وقد احتوت على مائة ألف مجلد تقريباً ومن المكتبات الخاصة نذكر مكتبة ابن العميد والصاحب بن عباد فكانت مكتبة الصاحب تحتوى على مائتين وستين ألف مجلد[1] .

• • •

وإنه لمن المحزن أن هذه الثروة العلمية والفكرية العظيمة تبددت . وهى الآن موزعة فى مكتبات الشرق والغرب والقليل منها فى المكتبات العربية والإسلامية .

هذا وبالله التوفيق

المؤلف

(١) أنظر : معجم الأدباء ياقوت الحموى جـ٢ ص٩٧

أهم المراجع

— القرآن الكريم ، كتاب رب العالمين .

١ — الإنسان فى ظل الإسلام ، الشيخ محمد أبو زهرة .

٢ — الإسلام والحضارة الغربية ، أنور الجندى .

٣ — الإسلام وثقافة الإنسان ، سميح عاطف الزين .

٤ — أسس الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن حسن حنبكة .

٥ — الإسلام والعالم المعاصر . أنور الجندى .

٦ — الإسلام والحضارة منظمة الندوة العالميـــة للشباب المسلم ، على محمود عبد الحليم .

٧ — أصالة الحضارة العربية ، ناجى معروف .

٨ — أعلام العرب والمسلمين فى الطب ، على عبد الله الدفاع .

٩ — أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الغربية على محمد الملا .

١٠ — أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ، على عبد الله الدفاع .

١١ — أسماء علماء المسلمين فى الرياضيات ، على عبد الله الدفاع .

١٢ — تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير .

١٣ — تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، أبو زيد شلبى .

١٤ — تاريخ العلوم عند العرب ، عمر فروخ .

١٥ — تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، عبد الحليم منتصر .

١٦ — تاريخ الأدب العربى ، عمر فروخ .

١٧ — تقييد العلم ، الخطيب البغدادى .

١٨ — الثقافة الإسلامية . أنور الجندى .

١٨ — الثقافة العربية ، أنور الجندى .

٢٠ — الثقافة الإسلامية وأثرها فى النهضة الأوربية ، محمد فائق القصرى .

٢١ — حضارة العرب ، جوستاف لوبون .
٢٢ — رياض الصالحين ، للإمام النووى .
٢٣ — سنن الترمذى ، للإمام الترمذى .
٢٤ — سبل السلام ، للإمام الصنعانى .
٢٥ — شبهات التعريب ، أنور الجندى .
٢٦ — شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغريد هونكه .
٢٧ — صحيح البخارى ، للإمام البخارى .
٢٨ — صحيح مسلم ، للإمام مسلم .
٢٩ — العلوم عند العرب ، قدرى طوقان .
٣٠ — القاموس المحيط ، للفيروز أبادى .
٣١ — كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون .
٣٢ — لسان العرب ، لابن منظور .
٣٣ — معالم الثقافة الإسلامية ، عبد الكريم عثمان .
٣٤ — المسند ، للإمام أحمد بن حنبل .
٣٥ — مقدمات فى فهم الحضارة الإسلامية ، محمد على ضناوى .
٣٦ — المجتمع الإسلامى فى ظل الإسلام ، للشيخ محمد أبو زهرة .
٣٧ — محاضرات فى الثقافة الإسلامية ، أحمد محمد جمال .
٣٨ — المسلمون علماء وحكماء ، حسن محمد الشرقاوى .
٣٩ — من روائع حضارتنا ، د / مصطفى السباعى .
٤٠ — معجم الأدباء ، ياقوت الحموى .
٤١ — المكتبات فى الإسلام ، محمد ماهر حماده .
٤٢ — نظرات فى الثقافة الإسلامية ، د / أحمد نوفل .

فهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٣٥٦٣ / ١٩٩٤ م
I.S.B. N— 977—00—6772—5
٢٧ رمضان ١٤١٤ هـ — ٩ من مارس ١٩٩٣ م